أنور كامل

«نحن نحارب الرجعية وتثور على القديم، ندافع عن حقوق الأفراد، وننادى بحق المرأة فى الحرية والحياة، المرأة التى تخدم الرجل، والرجل الذى يخدم الرئيس كلاهما من طبقة واحدة، طبقة العبيد».
أنور كامل

وأنور كامل شخصية متفردة فى تاريخ اليسار المصرى، مثقف، موسوعى، متعدد المواهب، معتزل، منعزل، يفكر بالفرنسية ثم يكتب بالعربية كلاما فوق طاقة الفهم العام فى السياسة، هو تروتسكى المنطلق، وفى الكتابة يعرف كيف يمسك بخيط الكلمات ليصنع منه طلقة رصاص، بدأ أنور كامل مسيرته نحو الفكر الليبرالى المتجه يسارا فى بداية الثلاثينيات، ولأن ثقافته فرنسية خالصة فقد خاض معاركه ضد الاحتلال والقهر والرجعية والموج الفاشى المتصاعد وسط الجماعات الأجنبية المتمصرة والنخب الثقافية المصرية المتأجنبة. ووسط جماعة المحاولين «Essayists» بدأ أنور كامل معركته من أجل التنوير ومن أجل الديمقراطية ليكتب كلاما لم يألفه الناس مثل: «إن من حق المواطن أن يعيش حراً ٢٤ ساعة كل يوم»، لكن هذه العلاقة لم تشف غليله فإذا به يصدر فى عام ١٩٣٦ كتابا متفجرا مثله أسماه «الكتاب المنبوذ» قال فيه كل ما أراد، قاله مكشوفا صارخا سواء فى العلاقة بالمجتمع أو الاحتلال أو الجنس، وأكد فى كتابه أنه شخصيا «لا يؤمن بالأحادية فى الحب فقلبه ينفتح لكل جمال يراه»، ويشهق المجتمع هلعا أو دهشة من هذه الكتابة ويصدر مجلس الوزراء قرارا بمصادرة الكتاب مبرراً ذلك بأنه «يدعو إلى الإباحية والتجرد من الأديان والتخلى عن الفضيلة فى سبيل الشهوات الجنسية»، لكن هذا الكتاب فتح أمامه - رغم مصادرته - آفاقا جديدة؛ فقد تعرف عبره بكامل التلمسانى وعرفه التلمسانى بجورج حنين ومعا بدأوا فى تأسيس «جماعة الفن والحرية» التى خاضت

معارك من أجل الحرية وورفض التخلف ومواجهة الفاشية، لكنها كانت بالأساس جماعة فنية تمثل تيارا جديدا هو «السيريالية» وعندما دمر هتلر عددا من روائع الفن التشكيلى قائلا إنها «فن منحط» أصدرت الجماعة بيانا باللغة الفرنسية عنوانه «يحيا الفن المنحط» جاء فيه «نحن نرى أن الأحكام المسبقة فى المجال الدينى أو العنصرى أو الوطنى، التى يدعى بعض الذين أطاحت نشوة القوة بصوابهم ومحاولة إخضاع مصير العمل الفنى لها، عبثا جديرا بالاحتقار الكامل». كان البيان من صفحة واحدة وفى ظهرها صورة للوحة جرنيكا لبيكاسو، لكن عبارة وردت فى البيان تقول: «نحن نرفض أن نرى فى هذه الأساطير الرجعية شيئا بخلاف معسكرات لتعذيب الفكر» ألهمت الكثيرين للتوقيع، ووقع البيان ٣٣ مثقفا كانوا جميعا من المصريين وكان هذا هو الانتصار الحقيقى لجماعة الفن والحرية. إنهم يتمصرون وكأنهم يتوضأون، لكن الفكر الفرنسى والمعرفة الفرنسية واللغة الفرنسية تلاحقهم دوما. وفى عام ١٩٤١ يصدر أنور كامل كتابا بعنوان «مشاكل العمال فى مصر» ليحقق انطلاقة جديدة نحو التمصير وقبلها كانت جماعة «الفن والحرية» التى أعادت تسمية نفسها بـ«الخبز والحرية» قد أصدرت شهابا جديدا لمع فى سماء الفكر الليبرالى والتقدمى هو مجلة «التطور».. وتأتى «التطور» لتقدم لمصر فكرا جديدا وتوجها جديدا ولغة جديدة فى طرح هذه الأفكار. وليس هذا غريبا، فقد كان أنور كامل هو رئيس التحرير الذى صاغ مفردات شديدة الحماس وشديدة التفجر، ونقرأ: «نحن نرفض هذه السجون التى تضعها على عقولنا فئة ضئيلة جاءتها القوة عفوا هى رجال الدين»، ثم يقول: «إن لرجال الدين فى التاريخ صفحة سوداء».

ويقول: «نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغيير المستمر.. نحن نقاوم الأساطير والخرافات ونكافح القيم المتوارثة التى وضعت لاستغلال قوى الفرد فى حياته المادية».

وباختصار كان أنور كامل يتجه سريعا نحو اليسار ويجر معه مجلة «التطور»، الأمر الذى أغضب جورج حنين، ذلك الحالم الأرستقراطى الذى يعتمد الفن أداة للصراع، فسحب جورج حنين الضمان المالى الذى قدمه كى تصدر «التطور» فتوقفت.

لكن أنور كامل يواصل. وفى عام ١٩٤٥ يصدر كتيبا بعنوان «لا طبقات» ونقرأ على غلاف هذا الكتيب: «لن تحل بنا الهزيمة ما دمنا لم نرفع أيدينا بعلامة التسليم، قد نطوق بالأغلال وقد يوضع الحديد فى أقدامنا لكننا هنا وسنبقى هنا وسنبقى على عهدنا فى

تمثيل آمال الشعب والتعبير عن إرادة الجماهير، الجماهير الكادحة».

وقبلها كان قد أصدر كتابا آخر عن «الصهيونية» أدانها فيه كفكرة ونظرية عنصرية لا تخدم سوى مصالح أغنياء اليهود، وطالب فقراء اليهود بالتمرد عليها وأكد على عروبة فلسطين.

ويكون عام ١٩٤٦ نقطة تحول خطيرة فى حياة أنور كامل، فقد قبض عليه فى «قضية الشيوعية الكبرى» وذلك رغم أنه كان قد أصدر كتابا بعنوان «أفيون الشعوب» هاجم فيه الاتحاد السوفيتى وستالين، ولولا بعض انتقادات وردت فى الكتاب للفكرة الماركسية لتصور البعض أنها مجرد انتقادات تروتسكية المذاق، وقد استخدم أنور كامل كتابه هذا فى الدفاع عن نفسه فى تحقيقات النيابة، وبعدها خفت صوت أنور كامل.

وعندما جاءت ثورة يوليو علق عليها آمالا كبارا ووجه إلى محمد نجيب رسالة مطولة مؤرخة فى ١٢ أكتوبر ١٩٥٢ مؤكدا فيها أن حركة يوليو «لم تكن منذ اشتعلت سوى انعكاس لما كبت فى صدر هذه الأمة فى عهود الضغط والإرهاب». ونتذكر فقط أن تاريخ الرسالة كان تاليا بأيام قليلة لإعدام خميس والبقرى.

ويبرر أنور كامل موقفه هذا بسبب من الضغط الأمنى والمطاردة فى الرزق. وفى حوار أجريته معه (فبراير ١٩٨٨) يعترف «بسبب المطاردة والتجويع توقفت. ولم أكن أستطيع إلا التوقف فى حدود قدراتى الاجتماعية والاقتصادية والنفسية». لكن أنور كامل يؤكد: «لم أكن ميتا ولا أحب أن أعيش ميتا»، ولهذا ظل يكتب أوراقا سماها «الفسائل» يطبع من كل منها عدة نسخ يوزعها على أصدقائه، منها مثلا «أمشاط ماس مكسورة»، وعندما زار أنور كامل باريس عام ١٩٦٧ سأله جورج حنين: «ماذا يفعل الثائر الاشتراكى فى بلد غير اشتراكى؟» فأجاب: «يتحول إلى ليبرالى غير ليبرالى». وهكذا كان أنور كامل.